

الإثنين 28-07-2008

332- يوم إبداعى الخاص قصة قصيرة (!!!)

الجزء الأول: من الفصل التاسع من " الواقعة "

الجزء الأول: من ثلاثية " المشى على الصراط "

الأرض السابعة

.... تقول يا عم محفوظ أن الله موجود ورحمن ورحيم، فلماذا لا تنشق الأرض لتبتلعنى حتى ينتهى هذا الموال؟. لا يمكن أن يتحمل إنسان كل هذا الخزي والعجز، فكرت في الاختفاء بأى وسيلة، فكرت في السعى للعمل في إحدى الدول العربية، ربنا أمر بالستر ساكتب إلى أخى في ليبيا. لن أعدم حجة تبرر ترك أولادى وزوجتى هنا.

ثم جاء اليوم الذى عملت له ألف حساب حين تجرأت وحدثنى في الموضوع مباشرة:

- أرجو ألا تسمى فهمى.

فلتهبط السماء على الأرض قبل أن تعابرنى صراحة هذه الكتلة من اللحم الأبيض.

- خيرا إن شاء الله.

- لقد مجئت الأمر ودلونى على من "يعرف".

وقع المخطور، دلوك على من يا امرأة؟. هل أصبحت موضوع حديث الصالونات النسائية؟. من الذين دلوك يا ست هانم؟. هل نسيت كل ما أمتعتك به قبل ذلك.

طال صمتى حتى أكملت حديثها:

- قالوا لى إن هذه مسائل بسيطة ولا بد أن بعض بلدياتك ساءه أن ترث طين المرحومة. استكثروا عليك النعمة رغم أنهما فدانان "عمى"، خافوا أن تأخذ الأرض من مستأجريها، فكادوا لنا بذلك حتى يشغلوك عنهم.

ياصلاة النبى اتفضحت يا عبد السلام، وما كان قد كان.

- ماذا تعنين؟.

- كل عقدة ولها حلال،

يتردد نشيد الدوارة في عقلى من جديد: "لف القيد. قيدي وافى". هاهم أولاء قد ربطون حتى لا أفر بك يا ست الحسن بعد أن تفجرت حيوتك في هذه السن بلا مناسبة. لماذا تفتتح خلاياك الآن بلا حساب، تريدين أن تغترفي من بحر اللذة في الوقت بدل الضائع؟. لا مفر من التمادى في الحديث.

- وما العمل؟.

- سمعت عن بعض من يفكونه الربط في جلسة واحدة، سيدة سودانية تعمل المعجزات.

فحالتى تحتاج إلى "معجزة"،... أين أجدود اللانهاية...

- هذا حقك يا ستى، ليس لى أن أعارض، ولكن كيف السبيل إلى ذلك دون فضيحة.

- لا تحش شيئاً فهى سيدة فاضلة تدخل البيوت لترى الطالع وتشفى الأمراض، ولا أحد يسأل عن تفاصيل عملها. كلهم يعتبرونها بركة.

آه لو تعلمين؟. إسأل عم محفوظ. ربما كان هذا هو نهاية المطاف، أمشى في حب الله مثل عبد الستار النجار، أو أدخل البيوت أساهم في حل مشكلة العقم بطريقتى الخاصة بعد أن تفكوا ربطى بمعجزة سودانية.

بمهانة لا توصف. ملأنى شعور بالكراهية نحوها ليس له مثيل. في نفس الوقت دبت في شهوة عارمة يصحبها شعور بالقتل. وتحفزت للتجربة بتحد وقسوة. تذكرت خيالاتى في الحمام أثناء ممارسة اللذة الذاتية وكيف تدور في كثير من الأحيان حول إحدى السودانيات التى لا يحتاج صدرها إلى رافع، ولا يحتاج إشعالها إلى ثقاب، سال لعابى حين وصلت إلى هذه المرحلة من التفكير، وتوقعت مفاجآت سارة متى أطلقت جنونى العنان.

قلت في استسلام خبيث.

- هاتيهما، ولكن حدثينى عن التفاصيل.

- أبدا.. تحضر، وتأخذ "الأثر" وتقرأ بعض ماتعرف، ثم تنفرد بنفسها في حجرة مغلقة. يقولون أنها تتعري تماماً حتى يحضر خادما من خدام السر، فتطرد الشياطين، وينفك العمل بإذن الله.

ولماذا يحضر خادمها يا ست هاتم، أنا خادمها بإذن الشيطان، أنت لا تعرفين شيئاً عن نشاطى السرى في الحمام، وربما كنت أنت السبب في كل هذا. كم أبغضك وأنت تمثلين منظر البرينة الجنى عليها. منذ ماتت أمى وأنا أخاف منك دون سواك، قال لى الأخصائى أن أعضائى سليمة، ولكنه لم يقل لى أنك أنت سليمة. أخاف من الاقتراب منك أنت بالذات. هأنذا أتبين نوازعى بعد أن ثار جنونى نتيجة لامتهانك

لى وتحديك. أخاف من شهوتك الوقحة. أخشى أن أبيع لك نفسى دون مقابل. أخشى أن تطلى حياتى مقابل رضا شياطينك. أخشى أن أدخل فيك فلا أخرج أبدا. هذا بعض ما هداى إليه عقلى الآخر. ذلك العقل السرى الذى يجلو لكم أن تسمونه جنونا. هامو يأمره فيرقد فى الخط بلا حراك استخسارا لجهده أن يهدر لمن لا تستحقه، لمن لا يراه أو يراى.

لم أعد أستطيع التعرف على طبيعتها الحنون وتقبلها الصامت. شككت فى رؤيتى لها حتى ونحن مخطوبان. هل كان ينبغى أن أجرب نفسى مع غيرها؟. ولكن ماذا لو فشلت المحاولة تختت الفضيحة أسوار البيت؟. وماذا لو نجحت مع غيرها فزاد فشلى معها؟. ما باليد حيلة. سوف أقبل التحدى. شعور يخامرنى أنها ستدفع من تطاولها بشكل ما. قلت فى نشوة غريبة.

- وهو كذلك.

* * *

جاءت فى اليوم الموعود، هى هى كما صورها خيالى، حول الأربعين، لكنها "هى". كنت ملينا بالتحدى والرغبة واليقظة. أخذت أنصت إلى ما تقول وأنا أكاد ألتهمها ضاربا عرض الحائط بكل ما تقرأ من آيات، وتعاويد أغلبها غير واضح المعالم. بدأت بالنظر إلى نظرة أعرفها تماما، تلك النظرة القادرة على إرسال إشعاعاتها من عمق سحيق. تبينت أنها تنبعث من الأرض الخامسة. لم أهتز. لم أغض بصرى. أخذت المبادرة. نفذت إلى أعماقها أسرع منها وأكثر ثقة. وصلت إلى أرضها السابعة وما بعدها، اهتزت تحت هجوم نظراتى حتى كادت تترنج. بدأت تحاول أن تتجنب اقتحامى. التقينا فى ثوان وتيقنت أن المعركة انتهت لصالحى قبل أن تبدأ. أنا أكثر منك جنونا يا امرأة، هات ما عندك وتعالى معى أرفعك إلى السماء السابعة. ملكنى شعور طاغ بالزهو والمقدرة، ما أروع قوة الجنون السرية.

استمرت فى مهمتها وقد بدا عليها الارتباك وظللت أنا ثابتا كالطود واثقا من تفوقى ورجولتى ثقى من جنونى. ألقيت نظرة على زوجتى ملؤها الحقد والتشفي، انتقلت إلى الخطوات التنفيذية، فعاودت النظر إلى المرأة بلا رحمة ولا تردد. يبدو أنها أدركت تماما أين أنا وما أنوى وأقدر عليه. ارتعدت أكثر ولم ترد، اهتزت هزة خفيفة لا تخلو من أنوثة بالرغم منها. لو سمح لون بشرتها للاحظت زوجتى درجة احمرارها.

قلت لها فى وقاحة:

- هه؟. ماذا تقولين؟.

- يبدو أن حالتك مختلفة.

- أسوأ أم أحسن؟.

- أخطر.

انزعجت زوجتي وبدأ أنها على استعداد لعمل أى شئ حتى تنجح المهمة، لم أتوان في انتهاز الفرصة. كنت أتصرف دون تفكير مستغلا حرص زوجتي، قلت:

- إذا كانت الحالة بهذه الخطورة فلاداعي للمغامرة.

قالت زوجتي في انزعاج:

- لا تتعجل ولا تحف وسوف يأتي الله بالفرج.

الفرج يا أيتها الأتان سوف يكون على عينك ياتاجر. قلت في حث ريفي أصيل:

- أنا على استعداد لأى شئ، حتى للدخول معها إلى خلوتها إذا كان ذلك ضروريا لتخليصي منهم.

أطرقت المرأة وقد بلغت الرسالة. حاولت أن تسيطر على مشاعرها قدر الإمكان، ثم نظرت إلى زوجتي من طرف خفي، فواصلت الهجوم.

- إلا إذا كانت حالي ميئوس منها إلى الأبد.

قفزت زوجتي -كما توقعت- ترجوها أن تفعل أى شئ أى شئ فيه "الصالح". حاولت أن أطمئننها ببحث فواصلت الحديث مع المرأة بعد أن اطمأنتت أنه قد بلغها من أنا، قلت لها مشيرا إلى حجرة النوم.

- أنا تحت أمرك. والله معنا. طبعاً لا داعي للتعري في هذه الحالة.

نظرت إلى المرأة في تحد مستسلم. قررت ألا تراجع مهما كان الثمن فقلت متصنعا:

- أخشى أن يصيب بعض الآخرين أذى من تحت الأرض إذا ما حضروا "بسم الله الرحمن الرحيم".

ردت زوجتي في حماس:

- الأولاد في المدارس، والبنات صرفتها ولن تعود الآن، عملت حسابي خوفا من الشوشرة.

نظرت المرأة إلى الأرض وقالت وكأنها تسألني:

- والست هام؟.

- تأكدت أن الخيوط كلها في يدي فقلت وكأني أنا الذى أتولى مهمة إخراج الشياطين.

- تلزم حجرتها وتواصل قراءة القرآن دون توقف حتى ينتهى فك العمل، هذا ما فهمته أليس كذلك؟.

أومأت المرأة باطمئنان. فتماديت وسألتها إن كان سوف يحدث ضرر كذا أو كذا إذا توقفت زوجتي عن قراءة القرآن،

فانبرت زوجتي أنها لن تتوقف ولن تغادر الحجرة الأخرى ولا ثانية واحدة حتى تنتهي المهمة.

استأذنت زوجتي في رضا وابتهاال وهي تدعو لنا بالتوفيق. قامت المرأة إلى الحجرة المعنية وهي ترتعد وتستعيد بالله من الشيطان الرجيم، تبعثها وكنت واثقا، من كل ما أعمل ثانية بثانية. وكأني أعددت كل شيء من قبل. أحكمت إغلاق الباب واتجهت إليها في صمت، وهي لا تستطيع أن ترفع عينها في، ألاحقها بنظراتي فتهمز قبل أن تتمكن من مجرد البحث عن مقاومة. أمثلئ قوة ممزوجة بالفخر والنصر والجنون، أحسست أني أستطيع في هذه اللحظة أن أصهر الحديد.

قالت وصوتها يرتجف بالخوف والرغبة:

- ماذا تريد مني؟.

- لم أرد وازددت اقترابا، فقالت:

- من أين طلعت لي اليوم؟.

- أنت تنتظريني من زمان.

قالت وكأنها ضببطت متلبسة:

- أنت إبليس ذاته.

قلت في فخر.

- أنت تريدني هكذا، فلن يغرقك في بحر اللذة المجنونة إلا من هو أجن منك.

- لا حيلة لي معك.

ساد الصمت ولم أبدأ حراكا ولا تعجلت. وكأني أمتنع بمشاهدة هذا الأبنوس الحى وهو يغلى رغبة وغيظا.

انتظرت حتى يسبح انصهارا.

قالت وكأنها تصيح:

- هيا وخلصنا.....

* * *

قالت وهي مازالت تتفصد عرقا وتحاول أن تفيق من شبه الغيبوبة.

- من أنت؟.

قلت ومازلت فخورا بدرجة جنوني:

- من أنت؟.

- طأطأت رأسها وقالت وكأنها تحدث نفسها .
- ما كان لي أن أستسلم لك. لن أغفر لنفسي ما حييت،
- قلت ومازلت في نشوة جنونى.
- رحمة الله وسعت كل شيء ; ;
- قالت في قوة جديدة لا تتناسب مع استكانتها السابقة .
- إخرس يا شيطان .
-

أرسل تعليقا

TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com
http://www.rakhawy.org/a_site/everyday/sendcomment/index.html
The Man & Evolution FORUM Web Site
<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/>
All Interventions: The Man & Evolution FORUM Messages
<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/messages/1>
Pr. Yahia Rakhawy Web Site
http://www.rakhawy.org/a_site